الطفل الشريد
بابكر

الكاتبة رحمة صديق عباس

لم يكن مجرد طفل

بل كان اسطورة

....استطاع ان يغير حياتة للافضل

بعيدا عن والديه في رحلة البحث عن الحرية وتنمية القدرات

أشعل شعلة نجاحك ولا تسمح لشيء يُعيق طريقك

أي كان نوع القرار الذي تتخذة فإن كنت تري يخصك، فاحرص علي إتخاذة بما يرضي الله

.

الكاتبة رحمه صديق عباس بابكر

فكر الطفل أن يهرب من ضرب والدة لطالما رفضت والدتة ان تهرب معة عندما سمع الطفل أن والدتة ستذهب إلي السوق اصر أن يذهب معها، ولكنها رفضت وقالت:

، بأنها ستدعة في منزل جارتهم

. ولكنة رفض البقاء فذهبت معة إلي السوق

...وصلو الي السوق وكانت الام ممسكة بالطفل عندما وقفت الام لشراء شيء ما

. افلت الطفل يد امة وفرّ هاربا

بدأت الأم تصرخ تطلب النجدة، فقام بعض من الأطفال والكبار باللاحاق به ليعيدوه إلي والدته التي فقدت ابنها الأكبر (امجد) جلست تبكي علي فقدان ابناءها وظلت تقول:

.ليتني سمعت كلامة، وتركنا المنزل بعد أن سافر اخاه وتركة وكان وحيدا

جاءو وللاسف لم يستطيعوا اللحاق به فقد كان سريعا جداً حتي فرّ منهم، وقف لشرب بعض الماء فقد ركض كثيراً ولكنة لم يجد الماء جلس في الطريق ينظر....

فرأي مطعم جاء ووقف في الخارج ينظر الي الأكل، ولايعرف كيف يأكل فهو لا يمتلك المال فقدم لة شخص زجاج ماء شربة وذهب يبحث عن مكان للنوم ولم يجد نام في الطريق...

جاءوا الاولاد الذين يعيشون في الطرقات فوجدوه نائم وبدأو بإزعاجة

كان يركلة احدهم ويأخذ الآخر نعلية استيغظ من نومه وقال لهم :

لما تفعلون ذلك بي ماذا فعلت لكم!؟

ضحكوا ساخرين من قولة وكان هناك طفل آخر اكبر منه لم يتجرأ علية ينظر إلية فحسب.

عندما رأه الطفل الشريد(انور) لمّ تنظر اليّ هكذا؟

فرد إلية قائلا أيعجبك حالنا يبدو أن لديك أسرة تعرفها ويعرفونك ويحبونك ويبتعون لك ما تشاء من الحاجيات فقال له الطفل الشريد:

أبرأيك هذا يكفي؟!

أين الإهتمام؟

أين الحب؟

أين التفاهم؟

وما فائدة كل ذلك إن لم تكن سعيداً؟

.... إن بقيت مقيد كالمسجون برأي حياتكم هذه افضل لي من الحياه التي اعيشها

اعلم انكم بلا مأوي ولا اكل ولكنكم ستعيشون الحياه التي تحبونها افضل وبإسلوب آخر.

فقال له الطفل الذي يكبرة سناً (ماجد): هذا هراء أتفضل حياتنا البائسة هذه بـ العيش في المنزل مع والديك واخوتك.

أنور: انتم هنا لا أحد يوبخكم او يضربكم حتي إن ضربوكم فهم غرباء لا يعرفونكم ماذا عن أبي؟

ألا يعرفني ! لماذا؟

....انظر الي ذلك الرجل كيف بضحك انة حقق ما يريد حتي ان كان مشرداً

....وتقول لي حياتكم بائسة

ليست أشدّ بؤساً من حياتي.. إن لم يحترمو مشارعرك ويقدورا قيمة المواهب التي تمتلكها.... لم أعد احتمل صراخ ابي الدائم علي أمي ولا طريقة ضربة المبرحة لي من غير شفقة كأنة يريد أن يقتلني....

ماجد: آخر مرة ضربك والدك

أنور: احب العزف والركض قد اشتركت في مسابقة مدرسية طلب من اولياء الأ مور الحضور وعندما حضر أبي قال إنها مضيعة للوقت وذهب وامرني أن لا اشارك فيها وذهب.

لم استمع لما قالة اكملت الجولة وبعد عده اسابيع اتصل المدير لأبي لحضور حفل

....التكريم معي عندما اغلق الهاتف

:صرخ لي صراخ حتي ارتعبت وقال لي

.لقد حصلت على المركز الاول في مسابقة الركض

فرحت كثيراً حينها وقلت في نفسي أن ابي تغير عندما امسك بيدي ودخل معي غرفتي لم اعرف ما كان ينتظرني من الضرب.

:ضربني أبي بدون أي شفقة وخرج بعد ان وقال لي

.إن لم تكف عن الإشتراك في مسابقات الجري فسأكسر رجلك

انور: لماذا يا أبي(حاتم)؟

.حاتم: لا اريد أن تشترك فحسب

...انور: وماذا عن العزف

.حاتم: إنة مضيعة للوقت.... وخرج

امي كانت بالخارج كنت اسمع صوتها وهي تبكي لأجلي، لذلك تحملت حرارة الضرب ....حتي لاتراني وتحزن اكثر بعد أن خرج أبي

. حاولت اقناع أمي بأن نذهب ونترك البيت ولكن أمي رفضت

.ماجد: كان عليك البقاء من أجل والدتك التي تحبك

.....انور: أتظن بأني أريد أن اترك والدتي؛ لم يكن لي خيار آخر

:جلس ماجد بجانبة وقال

اتظن أن هذا خياراً صحيحاً أنظر إلينا وإلي حالنا لقد اصبحنا كالحيوانات متسخين ، نأكل من بقية الأكل الملقاه في الطريق ، وننام في أماكن متسخة فأنا لا اعلم من ....هم اهلي كل ما عرفتة أني في الطريق وسط هولاء انظر إليهم وإلي حالهم .جميعهم تركوا اسرهم وجاءو الي هنا

....لا أدري ولكني لو كنت مكانك ما تركت بيتي واهلي وجئت الي هذا المكان القذر

اسدي الي والديك معروفا، وعد إليهما لعل والدك يكون قد تعلم درساً ولم يضربك .مجدداً..... ويعامل والدتك بطريقة لطيفة

...انور: لا لم أفعل

.ماجد: أظن أن والدك يحبك؛ لكنة يقسو عليك لا بد من وجود سبب

:انور قام ووقف قائلا

..... أنا لا ابني حياتي علي الظن

أي كان السبب لا يهمني ما يهني الآن هي والدتي وأن أكمل دراستي سأعمل حتي .أغير مستقبلي لن أعيش حياة المشردين

ماجد: ماذا تريد أن تفعل إذا؟

قام أنور قابضاً يده ويتخيل طريقة عنف والده والدموع تتساقط من عينية أنت لا تعرف أبي فهو لا يحن ولا يشتاق ويمنع امي أن تعاملنا بلطف عندما ياتي ابي لا أخرج من غرفتي...

مازلت أتذكر اخي الأكبر كان يبكي كل يوم حتي ينام..... ذات يوم طلب أخي من و الدي نقود؛ ولكن والدي رفض إعطائة...

كان يخطط للسفر إلي الخارج، وكان مصراً علي ذلك كان يوفر نقودة الخاصة بـ المدرسة ويعمل بعد أن يخرج من المدرسة حتي الساعه الخامسة... لم يخبر احد سواي، لقد كان اخي شخص ناجح ومفكر ، إلا إنة عندما أراد أن يغادر لم يخبر أحد إعتقدتة سيخبرني ولكنة لم يفعل فقد ترك رسالة معتذراً من والدي وطالباً منهما السماح.

، فقد كانت رسالة حزينة حقاً.....قبل ان يسافر كان يحضن وسادتة ويبكي كل يوم وفي ذات بكي بصوت عالٍ لم أستطيع تركة يعاني اكتر فسألتة ما يبكيك يا أخي فنظر إليّ وقال:

..... لاأستطيع إخبارك سامحني وقفت أنظر الية، وذهبت لغرفتي

. الآن فهمت ما قصده في تلك الرساله

ماجد: ماذا فهمت قل لي؟

أنور: ما سأفعلة الآن

ماجد: وماذا تريد أن تفعل!؟

....أنور: سأغير مستقبلي

ضحك ماجد بصوت عالٍ لم يضحك مثلها من قبل وقال:

مستقبل أي مستقبل وانت في وسط القمامة؟

... كف عن الهراء وعد إلي المنزل من أجل والدتك

أنور: لا تكن سخيفاً مثل وائل

ماجد: ومن وائل؟

أنور ابن جارنا كان احمق سخيف يسخر مني دائماً .... ووجد فرصة اكثر للصخرية مني عندما منعني ابي من المشاركة في السباق القائم للمتفوقين فقط حصلت علي المركز الاول وكان وائل يغار مني.

والده كان لطيفاً جداً وطيب كان يوبخة عندما يذعجني ويقول لة علية معاملة الناس بلطف واحترام وودت لو أنة هو والدي الحقيقي.

ماجد: اتعرف أني لا أعرف من هم والدايّ كل هولاء تركو منازلهم ما عدا ذلك الولد لم هرب من المنزل لكي لا تقبض علية الشرطة.

أنور: وماذا فعل؟ سأذهب وأسأله.

ماجد: لا لا تفعل... فقط عد الي المنزل.

أنور: حسناً ياأخي سأذهب ولكن؛ ليس الآن

جاء إليهم ذلك الولد (وليد) الذي هرب من الشرطي يكبرهم سناً وقال:

يا أنور لماذا أنت هنا ؟

أنور: تتحدث معي كانك تعرفني قل لي أنت أولا ً لماذا أنت هنا وسأخبرك؟

وليد: أنت ذكي حقا مثل أخيك ولكني لم احب ولدك يوماً....

أنور: لا تتحدث عن والي هكذا ، من أنت وما قصتك....

وليد: قصتي بدات عنما وعدتني والدتي بعد ان اخرج من الفحص ستذهب معي لإ

إحضار ملابس جديدة للثانوية كنت انتظرها في الخارج .. اثناء عبورها الطريق اصتدمها سيارة فركض نحوها وكان الطريق ممتلي بالسيارات ولا أحد يقف ليساعدنا..

وقف صاحب التكسي ظننت أنة وقف ليساعدنا ولكنة لم يفعل ولحسن الحظ نسي المفاتيح في الداخل اخذت السيارة وذهبت مع والدتي إلي المستوصف....

حينها قال لي الطبيب انها تحتاج الي نقل دم اتصلت بوالدي... لكنها توفيت قبل ان ياتي مع بلوغي خبر وفاتها جاء صاحب السيارة مع الشرطة هجمو علي قمت بضرب شرطي امرو بإعتقالي.

فلم اسمح لهم بذلك لقد فقدت والدتي للتو ويردون ان يسجنوني هذا مستحيل فبدات اذهب للخلف ابتعد عنهم قليلا قليلا... هربت قام بعض منهم باللحاق بي ولكنهم لم يستطعوا امساكي ... ادي بي الأمر إلي هنا .. حالتك ليست اسواء مني....

أنور: يحزنني ذلك... أنا اسف

وليد: لا عليك

ماجد: ماذا تريد أن تفعل يا أنور؟

أنور: أريد بناء مستقبل كما قلت لك سألتحق بالمسابقة النهائية وسأعمل علي تحقيق ما بدأت سأعتمد علي نفسي.

ماجد: في هذا المكان

أنور: نعم لم يكون غذراً بعد اليوم وانتم أيضاً ستتغيرون سننظف هذا المكان وننظف انفسنا وندعم بعضنا البعض ونعمل وعليكم بغسل ملابسكم لا تدعوها متسخة هكذا.

وليد: أنت حقاً اسطورة لم يخطر في بال احد فعل هذا

. بدؤا في تنظيف المكان، ورتبوه اصبح مثل الغرفة... اعجب بة وليد

كان أنور يتدرب كل يوم علي الركض والتمارين الرياضية....يريد أن يشترك في .....مسابقةالجري في نهاية العام

.كان يتدرب علي السرعة، والمسافات الطويلة والقصيرة، ويعمل بعد ذلك

إعتمد علي نفسه وعندما أخذ أجرته إشتري أكل لهم ، وذهب إلي المكتبة احضر .كتب ثقافية ورياضية

لا يتمكن من الإلتحاق بالمدرسة ثانياً.... إلا إنة يحب القراءه عندما يذهب للعمل وعندما يسمع الأذان، يترك العمل فوراً يذهب يصلي ويعود لإكمال ما تبقي.... هذا .ترك أثر في المعلم اعجب به واحبة كثيراً يعطية اجرة أكثر من غيرة يعمل بإتقان

لم يكن طفلا ً عادياً بل كان اسطورة..... إستطاع أن يغير حياتة ويسعي لإكمال حلمة، لم يرتدي ملابس مسخة يوماً... عاش في الطريق وبإسلوب رقيق يغسل ملا .بسة وينظفها ويذهب إلي حلقات القرآن

ذات يوم طلب منة الشيخ أن يحضر إلية، عندما جاء طلب منة أن يسكن في المسكن الخاص بقارئي القرآن.... وافق من فورة وقال سياتي مع صديقة إن لم يكن لدية مانع.. ذهب واحضر اشياءه هو وماجد طلب ماجد لوليد انه سيذهب مع انور . (الي دار حفظ القرآن لم يمنعة وليد (سنعرف قصة ماجد مع وليد

جلسوا ينتظرون الشيخ حتي يأتي لينقلهم إلي أماكنهم.... وما إن جاء الشيخ ورأي أنور وماجد قال لهم الشيخ:

انتم إخوه تشبهون بعضكم؟

قال ماجد: لا نحن صديقن إلتقينا فقط في الطريق وكانت صحبتة صالحة حتي اتينا الي دار القرآن مكثت في الطريق خمسه عشرة عاما لم أري احد ينظف المكان ولا ينظف نفسه... وما إن جاء أنور غير حياتي للافضل من البدايه كنت رافضا جلوسة معنا اردته أن يعود إلي اهلة ولكنة رفض.

الشيخ: نعم الصديق حافظ علية، ولماذا لا تعود الي منزلك .

أنور: بعد أن أكمل حفظ القرآن.

خرج الشيخ وضحك ماجد فقال له أنور: ما المضحك في ذلك!

ماجد: لقد لا حظت ذلك منذ أن رأيتك وخفت ان تضربني.

انور: لا لا ياصديقي فقد هربت من المنزل بسبب الضرب، فأنا ضد العنف

أنور: لا يا صديقي لقد هريت من المنزل بسبب الضرب... فأنا ضدّ العنف هيا لنذهب ، اريد ان ادعو والدتي بأن تأتي الي وتحضر السباق في نهاية العام قد اقترب .. اخبر اخاك وليد .

ماجد: انه ليس هنا

أنور : لنذهب اذا..... ما قصتة لقد قلت لي انك لا يوجد لديك أحد كيف يكون وليد اخاك.

ماجد: اخبرني أخي وليد قبل فترة أنه عثر علي في الطريق العام حيث كان جالسا جاءت امراءه تحمل طفلا ً وهي تبكي واثناء عبورها الطريق جاءت سيارة واصدمت بها....

وقع الطفل يعني انا بالقرب منة فحملني ورباني وقال قد كانت هناك ورقة فيها اسمي وعنواني اخبرني باسمي ولكنة لم يخبرني العنوان..

إنهارت الدموع من عينة وقال والدتي توفيت هكذا الفرق بيني وبينك انني لست طفلا ً عندما توفيت ... ولجأت إلي هذا المكان بدلا ً من أن اذهب إلي والدي واخي... لجات الي هذا المكان لم استطع أن افعل لك شيء جميل مثل أنور لقد كان أنور أفضل مني يسعي وراء أهدافة لقد فاز.... اما أنا فقد خسرت ولدي كان لطيفاً جداً معي ولكني أناني بطبعي ما كان علي أن اترك والدي بعد أن توفيت والدتي لم أرغب بفعل شيء.

فقلت لة لما لا تذهب إلي والدك ... لم يقل لي شيء خرج ولم أراه حتي الآن.

لا تحزن أنت ايضاً اخي وصديقي سياتي.... هيا لنذهب نخبر والدتي ، اتمني أن يكون ابي في الخارج

. ونسي أن يسألة عن إسمة الكامل لعرف أنة اخاه

بعد أن أخبرت والدة أنور.... بأن أنور قد هرب منها ولم تستطع اللاحاق به بدأ يصرخ في وجهها ، قالت له:

الآن لست مطرة إلي سماع تهديداتك سوف اترك لك المنزل دخلت إلي غرفتها وأغلقت الباب....

. أصبح الأب محتار لا يعرف ماذا يفعل سيصبح وحيداً بعد أن تذهب

خرجت الأم واحضرت حقيبتها ... قام الأب ونظر إليها وقال لها:

. ارجوكي لا تذهبي لقد فقدت كل ابنائي كنتُ قاسياً معهم ومعك

فقالت ام أنور: كنت اصبر علي قسوتك من أجل ابنائي وقد غادرو .. بقيت معك
. بعد أن ترك أنور المنزل اكثر من عام ولم تتغير بعد ولا أريد البقاء معك بعد الآن

حسناً قبل أن تذهبي أريد أن اخبرك بشيء... لقد تزوجت واحدة اخري ورميت
...طفلي الصغير في الطريق

اخبرتها انني متزوج ولا اريد اطفالا يكفيني هذين الطفلين... عندما حملت طلبت منها أن تسقطة فرفضت وتمسكت برأيي وقلت انني لا اريده وعندما ولدت أمرتها أن تعطية لاسرة ترعاه كان إسمة ماجد كانت له علامة فوق عينة، وخرجت عندما
.عدت لم اجدها ولم أعلم عنها اي شيء حتي الآن

، .. وفجأءةً طرق الباب ذهب الاب وفتح الباب .... إنة ابنة أنور ومعة ماجد
عندما رأي والدة امامة ركض ومسك بيد ماجد وايضاً والداه ركضو خلفوه كانت و
الدتة تبكي وتقول لا تتركني مجدداً يابُني ولكن؛ جاء وليد ووقف أمامهم وقال لهم
. يجب أن تبقو في المنزل واخرج ورقة هذه ورقة مكتوب فيها إسم ماجد وعنوانة

أنور وماجد انتم اخوه في الحقيقة... جاءت والده أنور واحتضنتهم وامسكت
بأيديهم وذهبوا و اثناء سيرهم في الطريق قالت لماجد لا تغلق أنت مثل ابنائي
. امجد وانور والآن أصبح لدي ثلاثة

ذهبت إلي منزلهم القديم ورتبو المنزل وقامت بإعادتهم إلي المدرسة وفي نهاية
.العام دخل أنور المتوسط... ونجح ماجد في الإبتدائي

وذهبوا الي السباق وفاز أنور بالميدالية الذهبية ووسام فية إسمة... اتصل اخاهم الا
كبر... وقال لهم انه أصبح لديه شركة وارسل لهم إقامة للخارج وهكذا بنوا مستقبل
مشرق بدون والدهم ولكنهم حافظوا علي المعروف وفي كل شهر يرسلو لوالدهم
...مرتب شهري

.وايضا وليد اشتري لة منزلا وفتح لة متجر

-_:الحكمة

تجنب القسوة في تربية الأبناء... إذا تربيت بقسوة فلا تكرر ذلك في أبناءك... إن فعلت فستخسر كل شيء فالاجيال تختلف.